الأبنية العجائبية في النصوص السردية القرآنية

أ.م.د كرنفال أيوب محسن

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

مقدمة

مع تسارع الاهتمام بالعجائبي والغرائبي والفنطاسي كونه سمة من سمات الأدب ألان، وخاصة الشكل الروائي الذي اخذ يتجه حثيثا لتمثل الفنطاسيا والعجائبية لغرض الإشارة الى الواقع بما هو غير واقعي ولامعقول، نجد من المهم تتبع هذا الطابع في المرويات العربية ، بالذات التراثية منها ، ولعل القرأن الكريم يقف في المقدمة إذ لا تخفى اهميته وقدسيته وإعجازه ، فهو الدستور الإلهي الذي يقوم جزء كبير منه على السرد والقصّ والحكي ، العجائبي بالذات الذي يستند الى القدرة الإلهية ويصدر عنها بالطبع، آثرنا أن نقدم وبشكل مختصر بعض أوجه العجائبية في القرأن الكريم والأبنية التي يتشكّل منها ، مع الإشارة الى أن هذه الدراسة ليست مسحا شاملا لكل أنماط العجائبية فيه ، وإنما هي تقديم لنماذج عنها ، فجاءت بمدخل وخمس مسائل ، كل مسألة مثلت نمطا من أنماط العجائبية في القرأن الكريم، مع خاتمة وقائمة ببعض المصادر ، عسى أن تكون قد لفتت الى قضايا مهمة تتعلق بهذا الكتاب الجليل .والله من وراء القصد.

مدخل :

تتميز صورة الفوق طبيعي في القرآن بكونها مقبولة لدى المتلقي وبشكل فطري ، في حين يقف المتلقي نفسه عند توظيف العجائبي في الأدب محاولا ان يجد تفسيرا ..فالواقعة المصورة دينيا مقبولة بشكل آني وفطري من دون نقاش ، لكن دخول الوقائع المصورة بشكل عجائبي في الأدب يخلق الحيرة والتردد والشك، لان العجائبي يتشكل من أحداث لاتفسر وفقا للعالم المألوف لذا فأن منطقية عدم الايمان بها بشكل كامل واردة على الأغلب إلا أن الأمر مختلف تماما مع النصّ القرآني وبعيدا عن مجال المقارنة ، إذ نسعى لمعرفة سببية التصديق الإيماني بالأحداث العجائبية _من وجهة نظر المتلقي بالطبع _ والفطري ، مقابل التردد والحيرة والشك في أحداث العالم العجائبي في الأدب ولاسيما القصة والرواية .

إن وظيفة العجائبي تهدف الى تحقيق غايات معينة منها تجاوز الضوابط الاجتماعية المفروضة على الإنسان ، فضلا عن الإشارة الى دور القوى في خلق المعقول واللامعقول فالله سبحانه وتعالى يخاطب بني البشر ليدفع أمامهم قدرته جل وعلا ، ولعل الفلسفة التي تحكم العجائبي قي القران الكريم تقضي بالتصديق الفعلي والواقعي لكل ما يتلقاه الإنسان من الكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالى ، وهي فلسفة ترمي الى تقديم الدلائل على القدرة الإلهية التي لا يمكن الوصول اليها ، والى وجوب الإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى ، فضلا عن بيان محدودية القدرة البشرية .

يستمد الخطاب العجائبي في القرآن الكريم قدسيته ومصداقيته بكونه صادرا عن الله سبحانه ، وهو بهذا لا يخلق مجالا للشكّ وإنما يحقق حالة من الانبهار بهذه القدرة

الربانية المسكونة بالإيمان بها وبتمثلاتها سواء أشارت الى مدلولات عجائبية أم مدلولات طبيعية ومألوفة بالنسبة للوعي البشري الذي يحتكم في اغلب الأحوال الى الإيمان بالقدرة الإلهية التي يقدسها ، وهذا يعني أن المعيار الذي يقبل العجائبي في النصوص القرآنية هو غير المعيار الذي يقبل العجائبي في الأدب ، لان البنية الفكرية للدين يمكن تمييزها بسهولة ، من الفكر الأدبي او الاجتماعي او أيا كانت الفلسفة المقابلة لها.

يمكن الذهاب الى القول بأن الثقافة العربية قبل الإسلام كانت تحتكم الى العجائبية بشكل أو بأخر، إذ تشكلت هذه العقلية من خلال التأسيس الديني لها عبر ظاهرة الكهانة مثلا أو الإيمان بارتباط الطاقة الشعرية بالجن وهو ما كان أمرا متداولا ومعروفا وهذا يفضي الى أن النص القرأني لم يبتعد عن جذور العلاقة بمثل هذه الثقافة ، كما يذهب الى ذلك الدكتور عبد الوهاب شعلان : (أن النص القرآني لم يكن نصاً مبتور العلاقة بالجذور الثقافية للمجتمع العربي، بل كان تأسيساً على خصوصيات هذه الثقافة ومتموقعاً داخل بنيتها الكلية وإن كان نسيج كينونته النصية الخاصة من خلال آلياته اللغوية المتميزة، ورؤيته الجديدة للعالم والأشياء)[١]وهذا يعني ان النص القرأني قد تأسس وفقا للعقلية العربية ومفاهيمها بالطبع ، كما كان نزوله باللغة العربية ، ولعل ذلك من مظاهر الحكمة الالهية التي تصطفي الأشياء وفقا لاعتبارات مفهومة للإنسان .

فالأسطورة والخرافة قد كيفتا العقل العربي قبل الإسلام واسهمتا بشكل كبير في قولبته وتشكيله وتنظيم مدركاته في مختلف المجالات، لذا فقد جاء القصّ العجائبي في القرآن أداة مهمة من أدوات البيان التي تحقق للنصّ مصداقيته والإيمان به

بوصفه أمرا مفروغا منه ، فالقرآن يقدم العجائبي سردا دينيا الغاية منه التعلق بالعقيدة الإلهية بعد نزولها .

لعل في خصوصية العقلية العربية وخيالها الإسلامي بشكل خاص ، ما قدم وبشكل مستمر إيمانا بالعجائبية القرآنية وفقا لمنظور القدرة الإلهية وإمكانيتها في خلق وتكوين كل شيء وأي شيء ، فالعجائبي في النصّ القرآني الكريم تجعلنا نسلم بأننا أمام نوع خاص من الإنتاج ، يلزمه نوع خاص من التلقي ولعل هذا الأمر ينطبق أكثر على أنواع السرد العجائبي الأخرى ، لكننا أمام مهمة التعبير عن هذا الجانب في هذا الكتاب المقدس ، والنوع الخاص من التلقي يكون بعيدا عن مستوى العقليات التي تقف أمام العجائبي في السرد القرآني ، فهو متاح أمام المسلمين بوصفه دستورهم السماوي المقدس الذي انزله الله سبحانه وتعالى عليهم .

إن النصّ القرآني ينطوي على مخزون عجائبي مقصود وهو يشكل مركزية كبرى في الثقافة العربية لأنه مشحون بطاقة اعجازية هائلة تستدعي نشاطا معرفيا هائلا موازيا لهذه الطاقة ، حين يقوم على إثارة تقنيات متنوعة من الأساليب السردية واللغوية التي تظهر المشهد العجائبي وفقا لأبعاد غنية وعميقة الدلالة ، فضلا عن قدرته في تشييد ادبيته مما يجعله نصّا على الدوام متحولا عبر الأزمنة[٢] .فهو يتميز بأبعاده الموحية والفريدة التي تغني في عجائبيتها المخيلة بما هو غير متاح واقعيا ، الا انه يقدمه بوصفه واقعا مفروغا منه يتصل بقدرة الخالق سبحانه وتعالى ،فتلقي العجائبي القرآني تلقي خاص يقوم على أساس تحقيق كل الأحداث والمواقف

فالتشخيص القرآني يضجّ بالصور والأخيلة ويعتمد على الأوصاف والمشاهد الاشتمالية التي تجمع بين الحقيقي والطبيعي والعجائبي اللامعقول ، ويسعى الى خلق طابع خاص الغاية منه التصوير المؤثر المقصود لأجل إثارة اليقين بالقدرة الإلهية .

إن السرد العجائبي في الأنواع الأدبية و الرواية تحديدا ، يتخذ عدة أنواع تتلخص في ارتباطه بالماضي والغيبي والكرامات والمعجزات ، واتخاذه الأحلام والرؤى سبيلا للبناء الفني ، فضلا عن اعتماده على خلق المفارقة من المالوف الواقعي عبر المكاشفة والخارق والتحول وغيرها [٣]، وهوما يمكن ان يقترب من غاية العجائبي في السرد القرآني ..اذ اشرنا سابقا عن العقلية العربية المهيأة لتقبل العجائبي لأنها بالأصل تحتكم الى الموروث الأسطوري والخرافي قبل نزول القرأن الكريم ويمكن ان يوصلنا مجال التطبيق لهذا ، ومع اتخاذ السرد العجائبي في القرأن الكريم لجوانب مقاربة لهذا و فهناك الاستناد الى خلق المعجزات والأحلام والرؤى التي تحمل طابعا عجائبيا واضحا ومعروفا[٤].

أبنية العجائبي في القرأن الكريم

ينطوي التشخيص العجائبي في السرد القرآني على مبان عدة تتخذ أشكالا و ويظهر أبعادا عجائبية بشكل جلي ، مثل طي الأرض وامحاء المسافات الزمنية والمكانية ، فضلا عن الأشكال العجائبية التي تظهر في وصف جهنم وأشكال العذاب مثلا ..وكذلك سرد الأحلام والرؤى وما تنطوي عليه الأحرف المتقطعة التي ذكرت فيه، وغيرها من العناصر التي تشكلت لبناء السرد العجائبي فيه .

أولا: عجائبية الحروف

وهي الحروف المقطعة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في افتتاح عدد من سور القرأن الكريم ، وعددها (٢٩) سورة :سورة البقرة افتتحت بـــ(الم)،وكذلك سورة آل عمران، وسورة العنكبوت ، وسورة الروم ، وسورة لقمان ،وسورة السجدة، وسورة الأعراف افتتحت بـــ(المص)، وسورة يونس افتتحت بـــ(الر)، ومثلها سورة هود وسورة يوسف وسورة ابراهيم ، وسورة الحجر، وسورة الرعد افتتحت بـــ(المر) ، وسورة مريم افتتحت بـــ(كهيعص) ،وسورة طه افتتحت بـــ(طه) ، وسورة الشعراء افتتحت بـــ(طسم) وكذلك سورة القصص،وسورة النمل افتتحت بـــ(طس) ، وسورة يس افتتحت بـــ(يس) ، وسورة ص افتتحت بـــ(ص)، وسورة غافر افتتحت بـــ(حم) ،و كذلك سورة فصلت وسورة الزخرف، وسورة الدخان، وسورة الجاثية ، وكذلك سورة الاحقاف ،وسورة الشورى افتتحت بـــ(حم، عسق)، وسورة ق افتتحت ب(ق)، وسورة القلم افتتحت بـــ(ن).

هذه الحروف فيها حكمة تظهر اعجاز القرآن الكريم ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله على الرغم من انها الاحرف التي يتحدث بها العرب ويتخاطبون بها ، فهذه

الأحرف تكمن عجائبيتها في كونها من الغيبيات التي يؤثر الله سبحانه وتعالى كنهها له ، وهي بذلك تخرج من دائرة الحروف الطبيعية التي تؤلف الكلام الى دائرة العجيب الذي يصدر عن الخالق ، والتي توقع البشر في التعجب والتساؤل ومحاول معرفة مغزاها وكنهها.ان أهم مايتجلى فيها هو مصداق الإعجاز بأبعاده المختلفة ، ولقد كانت هذه الحروف مثار تفسير وتأويل لم ينته ، ومن أهم ما طرح وله صلة ببحثنا هذا هو ذهاب فريق كبير من العلماء والمفسرين وعلماء القرآن الى إن هذه الحروف علم استأثر الله به واختصّه لذاته ، وإنها رموز وأسرارخاصة بين الله جل جلاله وبين رسوله الكريم صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، وهناك من يسلم بأن لا احد يعلم مرادها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولعل العجائبية التي تكتنف الحروف القرآنية المقطعة تكمن في الفراغات الغامضة التي تحيلها الى اطار من التأويل ، ويذهب الى هذا المعنى الآلوسي (إن الإنسان اذا عرف المعنى وأحاط به سقطت هيبته من القلب ، وان لم يقف على المقصود منه على القطع بأن المتكلم به حكيم ، فأنه يبقى قلبه متعلقا به أبدا ، وفي بقاء العبد ملتفت الذهن منشغل الخاطر بذلك مصلحة عظيمة)[٥].ولعل هذا ما يقرب الى الذهن الاختلاف في رمزية هذه الحروف وحمولتها الدلالية وما تعنيه انما يدخلها في إطار العجائبي الذي يشكل سمة من سمات السرد القرآني .

- **ثانيا : عجائبية الزمن**

لا يقف الإعجاز القرأني على مزاياه التي تتعلق بعدم إمكانية توليده عن غير الله سبحانه وتعالى ، ولعل هذه الميزة هي التي دعمت عجائبيته الجلية في مختلف شواهده ، فعجائبية الزمن فيه تحدد إمكانية الخالق جل وعلا في اقامة الازمان ونفيها

وطيها وبهذا تتحقق صورة عجيبة عن زمن غير اعتيادي وغير طبيعي يكتنف السرد في النص القرأني ، فالزمن العجائبي فيه يمكن تمييزه من خلال الفصل العقلي بين الزمن العادي ، و الزمن الذي لا يمكن حدوثه او نفيه الا بمعجزة الهية حين يثير الدهشة والحيرة من مثل ما جاء في سورة البقرة(**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[٦] وفيها الخطاب الإلهي الذي يمثل في الإنسان الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ليتوهم انه لبث يوما أو بعض يوم ، وهنا تكمن العجائبية الزمنية في موته مئة عام ثم بعثه من جديد في طي عجيب للزمن الى الحدّ الذي جعله لم يشعر برقدته تلك سوى أنها يوم أو جزء من اليوم ، وهنا خرج الزمن من سياقه الطبيعي الذي يتمثل بمرور الوقت وأجزائه بمحددات معروفة الساعة واليوم والشهر والسنة وغيرها و والتي تتطلب وعيا بمرورها يتجسد في عمر الإنسان من بدايته وحتى نهايته الطبيعية التي تنتهي بالموت ،الى زمن أخر خاص بالحكمة الإلهية في تقديم المعجزات وطرحها أمام البشر ، فقد تجاوز الزمن العجائبي في القرأن مروره الاعتيادي ليتمثل في صورة لا تخضع لاعتبارات تشكيله ومروره في الدنيا ، وكذا الأمر في سورة الكهف وحادثة الفتيان المعروفة الذين انامهم الله سبحانه وتعالى ثلاثمائة عام وأكثر ، ليقيموا من رقدتهم وهم متوهمون بأنهم ناموا يوما أو بعض يوم (**وكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**)[٧] فالزمن في واقع اهل الكهف هو الزمن الطبيعي ، لكنه في واقع المعجزات هو اكثر من ثلاثمائة عام .

إن المنهج القرأني حيال الزمن يدعو للتأمل ..فالقرأن الكريم يقسم الزمن من ناحية تسلسله الى عالمين ، عالم الدنيا ، وعالم الآخرة ، ويقسمه من ناحية أخرى الى زمنين الأول غيبي يعجز العقل البشري عن تصوره والثاني الزمن الذي يشعر به عامة الناس[٨] ، وتكمن أهمية الزمن في القرأن الكريم بصورة القسم الذي اقسمه الله تعللى به من مثل ما ورد في سورة (العصر الآيتان ١، ٢) ، كما اقسم الله سبحانه وتعالى بمكونات الزمن وأجزائه ، فأقسم بالليل ، والنهار، والفجر، والصبح، والشفق، والضحى[٩]وهذا يبين بشكل جلي أهمية الزمن الذي جاء في القرأن الكريم

يتعامل القرأن الكريم مع الزمن بشكل فريد فهو ينزعه من سياقه الطبيعي ليضفي عليه طابعا من التشكل العجائبي الذي يقضي بالنوم او الموت لمئات السنين ثم البعث من جديد ، فأستهلالية القصة في سورة أهل الكهف تجعل المتلقي متفاجأ من حالة المفارقة القائمة بين قدرة الخالق (المتحدث) الذي يشير الى إن نوم أو موت أهل الكهف كل هذه السنين ليس عجيبا ، وبين إدراك المتلقي لعجائبية القصة وزمنها والتي تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى[١٠].

إن الغاية من إيراد الزمن العجائبي هو لتقديم حالة من الغموض خاصة حين تترك سنوات الموت (النوم) مفتوحة دون تحديد ولم تبين الايآت عددها (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)[١١] وهو ماعزز العجائبية في هذا الزمن المنطوي.لأن الحدث المحوري في القصة أصلا قائم على اللامعقول حين ينام او يموت مجموعة من الفتيان في كهفهم لمدة تتجاوز ثلاثمائة سنة ثم يعودون الى الحياة مرة أخرى وبشكل جماعي ، وأهم ماعزز من أحداث هذه القصة القرأنية هو لامعقولية الزمن .

ثالثا : عجائبية المكان :

يشكل المكان حقيقة كونية لا تقف عند كونها مدركا بصريا يشعر به الإنسان ويتفاعل مع تفصيلاته ويعيش فيه ، وهو في النصوص السردية يتملك مكانة كبيرة تتعلق بكونه موصوفا ومطروحا للوعي ، حين يشكل أولا خلفية للأحداث والأشخاص ، وثانيا حين يحمل هذا المكان دلالات وحمولات رمزية ترتبط بكل عنصر من عناصر السرد ، وفي النص السردي القرأني نرى ان المكان فيه يتفق من حيث التقنية والجمال مع المكان في النصوص السردية الأدبية ، فهناك حرص على إبراز صورته وخلفيته ودوره وعلى الرغم من ان المكان في النص السردي القرأني لم يمثل عنصرا اساسيا في السرد الا ان هناك أوصافا للأمكنة تفسح المجال للخيال وتشكيل أوصافه[١٢]، وظاهرة المكان في النصوص القرأنية تنطرح بوجهين وغيرها ، وهو مايمثل الحيّز الجغرافي الذي يشكل حدودا بعينها، والثاني الذي يتم عرضه من خلال اللغة ومفرداتها ، كالحديث عن السماء والأرض والجبال ، وهوما يسمى بالحيّز المفتوح[١٣].

ان النصّ السردي القرأني يتميز بقابلية في تقديم الأوصاف بشكل معجز للدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولعل التقريب بين عناصر الشكل الأدبي و عناصر شكل النصّ السردي القرأني يوضح الفرق بالطبع بين تقديم القدرة الإلهية ، وتقديم القدرة البشرية ، وعنصر المكان واحد من العناصر السردية التي تطرح بدلالات مقصودة في النصّ القرأني يبين هذا قسم الله سبحانه وتعالى بالمكان في أكثر من موضع **(فلاأقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم)**[١٤]، وقوله سبحانه **(لاأقسم بهذا البلد ، وانت حل بهذا البلد)**[١٥] وهذا يدلل على أهمية العنصر المكاني وطريقة تشكيله وتقديمه لما له من حمولات دلالية واسعة ، خاصة حين يقدم في

مواضع كثيرة منها بطريقة مستغربة . إذ ترد صورة المكان بشكل عجائبي وهو مايقودنا مرة أخرى إلى إشكال الإعجاز الإلهي ، ففي سورة النمل تطالعنا صورة المكان العجائبي في قوله تعالى (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[١٦] فيبدو من استغراب ملكة سبأ وكشفها عن ساقيها لأنها توهمت انها تسير وسط بركة من الماء وهو مايشكل تصورا عن مكان مستغرب ، فضلا عن ارتباط هذا المشهد بالمشاهد في الايات السابقة وهي التي تظهر قدرة النبي سليمان على التخاطب مع الحيوانات وتسخير الجن وهي مشاهد أكملتها صورة المكان (الصرح الممرد) والذي جاء عجائبيا هو الأخر ليطرح تصورا لدى المتلقي عن قدرة الله ، فالمكان العجائبي هنا من المسلمات المشهدية التي تآزرت مع الأفعال والمواقف ، حديث النمل ، توعد سليمان الهدهد بالعقاب ، وجلب عرش ملكة سبأ بطرفة عين، فحوافز العجائبي وثيماته تتحدد وفقا لأهمية الظاهرة او الحدث ، والإشارة الى الأفعال الخارقة للعادة في سورة النمل انما تنطوي على اهمية اليقين بهذه القدرة ، وهو جزء مما يعتمد عليه النّص السردي القرأني، فألانتقال اثناء السرد من العجيب الى الواقع يتعلق ليس بالنصّ فحسب وإنما بطريقة تقديمه ، ومن ثم إرساله والوثوق به برد الفعل من المتلقي ، والمكان هنا لم يقتصر على شكله الطبيعي وإنما ورد بالشكل العجائبي في إشارة الى جلالة الموقف وأهميته ، وكذا الأمر في سورة يونس حيث يرد المكان العجائبي ضمن سرد هروب بني اسرائيل وكيف تجاوزوا البحر بقدرة الله سبحانه وتعالى ، في حين انشق ليطوي فرعون ومن معه **(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُوإِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[١٧] ، فالبحر ليس مكانا اعتياديا وإنما جعله الله مكانا يحمل صفاتا هي ليست له في العادة او في الشكل الطبيعي حين يمر عليه بنو اسرائيل بسهولة ويتجاوزونه ، في حين ينشق وينغلق على فرعون وجنوده وهو مايشكل بعدا

عجائبيا بشكل واضح وجلي ، وكذلك سورة الشعراء التي نجد فيها البحر بالخصائص العجيبة نفسها التي يمنحها له الله سبحانه وتعالى له **(فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)**[١٨].

ان المكان العجائبي في النصّ السردي القرأني يحتفظ بثبات عجائبيته ، لان المتلقي له موجود دائما ، ففي سورة الأعراف هناك الجبل المتحرك الذي جعله الله جل وعلا آية لموسى عليه السلام **(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)**[١٩]فالجبل هنا ليس المكان الطبيعي بحدوده وأوصافه وإنما هو مكان خاص له ميزات خصّه بها الله سبحانه لأجل اليقين والإيمان ، بدليل خرّ موسى صعقا وهو مايوضح بأنه مكان يحمل صفاتا عجيبة ،والبحر في سورة طه له طريق يبسة تمكن البشر من السير خلاله **(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى)**[٢٠]

يتصل المكان في النصوص القرأنية بكونه يدخل حيز العجائبية حين ينتقل من الشكل الطبيعي الى الشكل العجائبي بأوامر الله جل وعلا وقدرته، لذا فان المكان العجيب لم يكن بهذه الصورة وإنما انتقل الى تشكيل أخر يثير الحيرة والعجب حين تحوله قدرة الله الى مكان له محددات أخرى تتعلق بميزات جديدة تسند الخبر العجائبي ففي سورة هود **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**[٢١]. فالتشكيل الطبيعي هو الأرض والسماء والجبل و تحول في تقنية تستند الى قدرة هائلة الى مكان عجيب فالأرض تبتلع الماء والسماء تتهاوى ، فالمشهد استند الى هذه التغييرات الشكلية ليحقق يقينا بالقدرة الالهية.

رابعا: عجائبية الأشخاص

تتمتع الشخصيات العجائبية بكونها تتصف بميزات استثنائية تتعلق بأشكالها وأفعالها وصفاتها النفسية ، فهي لابد ان تحمل صفاتا خاصة لأنها تخضع لانزياحات عن الواقع لحساب اللاواقع المدهش ، وتتغير فيها ثوابت عديدة أهمها الأبعاد الثلاثية التي تتعلق بالبعد الخارجي ومايتصل بالكيان المادي وتركيب الجسم ، والبعد الداخلي الذي يتعلق بالأحوال النفسية والفكرية للشخصية ، والبعد الاجتماعي الذي يتعلق بالمركز الاجتماعي وماتشغله ،لكن الشخصيات العجائبية في النصوص القرأنية السردية تبتعد عن هذا بشكل كبير ، فهي ابتكارات إلهية مقصودة تتمتع بصفات وخصائص متفردة فأغلبها من الأنبياء ومنهم من يحمل قدرات خارقة او فوق طبيعية ، وهي تختلف بالطبع عن الشخصيات العجائبية في الأنواع السردية مطلقا لأنها منتخبة وتحمل أنماطا من الأخلاق مدعومة بقدرة خارقة ، فشخصية عيسى عليه السلام أول ماتطالعنا من هذه الشخصيات **(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ)**[٢٢]... **(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**[٢٣] فالنبي عيسى عليه السلام له قدرات أسبغها الله سبحانه وتعالى عليه الكلام في المهد وهي من الاعاجيب التي لايصل اليها البشر ، فضلا عن الإبراء من الأمراض ومجموعة قدرات خارقة ،وبما ان الشخصية العجائبية تمثل مساحة من الواقع مع غير الواقع ، لذا فنحن نلمس ان الشخصية العجائبية في القرأن الكريم إنما هي شخصيات طبيعية مع قدرات غير طبيعية فعيسى عليه السلام إنما هو بشر الا ان الله سبحانه وتعالى قد منحه إمكانيات خارقة فهو يكلم الناس في المهد فضلا عن قدراته الأخرى ،وخلفية ولادته من ام دون أب بقدرة الله جل وعلا ، وتبدو الشخصيات العجائبية في القرأن الكريم كلها من هذا النمط ، فشخصية النبي موسى عليه السلام ايضا تمتلك قدرات خارقة **(فَأَلْقَى عَصَاهُ**

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)[٢٤].ويبدو ان منح هذه الشخصيات هذه القدرات إنما لغاية الإيمان وتعظيم القدرة الالهية وقد بدا إن بيان هذه القدرات ضروري من اجل تحقيق العجب والاستغراب لدى المتلقي الذي يسلم في النهاية أنها معجزات إلهية .

خامسا :عجائبية الأشياء والظواهر

يحتكم الأدب العجائبي الى مجموعة من الظواهر غير المألوفة والتي تستند الى أعمال خارقة للعادة ، توفر شكأ واستغرابا وترددا ، وهو مايشكل جزء من فنية العمل المحكي او المروي وفقا لقوانين التجريب الحديثة التي طالت الأنواع الأدبية[٢٥] ، اما النصوص السردية القرأنية فقوانينها تختلف حتما وان اشتركت ببعض الفنيات مع الأنواع الأدبية ، اذ تتميز العجائبية فيها بأنها تمثل حسما عقائديا ،فأستنادها الى جملة من الظواهر والأشياء العجائبية يمكن ان تثير الحيرة والتردد إلا أنها في النهاية مقبولة حتما لأنها قادرة على إقناع المتلقي بوجود قوانين اخرى تسمح بتفسير هذه الظواهر ، قوانين تستند الى خلفية اعتقادية تنطلق من حالة طبيعية لتصب في الخارق ، ولتصبح سهلة التصديق والإيمان بها ، ليس لأسباب علمية أو تحليلية ،بل لقرينة خارجية هي موثوقية مصدر القصة لينخرط العقل البشري في دائرة المقدس المعجز الذي لايقبل السؤال.فمريم عليها السلام تلد دون اب للمولود **(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[٢٦]. فالفعل الخارق يتشكل من الخروج عن القوانين الطبيعية التي تحتّم الانجاب من الطرفين الأب والأم بالعلاقة البايولوجية ، لكن مريم عليها السلام تحمل دون أن يمسها بشر وهو ما أثار عجبها أولا ليجيبها الخالق بأنها قدرته التي هي فوق كل قدرة ، ولتشكل فيما بعد مثار استغراب البشر من جهة وإيمانه بهذه القدرة من جهة أخرى ، وهناك ظاهرة الحديث مع الحيوانات ومعرفة لغة تخاطبهم على النحو الذي وردت فيه صورة النبي سليمان عليه السلام

وهو يخاطب الحيوانات ويسمع حديثها **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[٢٧].

وهناك من العجائبية التي تتخذ صور اعجازية تشكل حلقة ضمن سلسلة من الأحداث المحكية من مثل ماورد في سورة يوسف عن رجوع بصر النبي يعقوب بعد ان القي بقميص يوسف عليه(**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**)[٢٨]، ولعل في قصة يوسف اكثر الظواهر العجائبية وضوحا وجلاء خاصة وانها تقوم على مشهد الرؤيا العجائبية التي رآها يوسف عليه السلام في منامه والتي أسست لكل ماحصل له ، فرؤيا يوسف استهلال لنصّ[٢٩] يتضمن عددا من الظواهر والاشياء التي تحمل طابعا عجائبيا تقدم حقائق ومدركات تعطل إمكانية عدم التصديق ، حيث لايصعب تقبلها ولايرفضها العقل لانها معلومة من الخالق ، والمتلقي لايرفض فكرة الأحداث فوق العادة فيه ولايمكن أن يدور في حيّز الشك فيه **(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)**[٣٠]ففعل السجود صادر عن ما لايسجد الا بقدرة الله تعالى ،فسجود الشمس والقمر والكواكب لبشرحدث جلل وغير معقول مطلقا الا انه يصبح حدثا معقولا ومقبولا لدى المتلقي لانه واقع ضمن حيز الإعجاز القرآني.

خاتمة

على الرغم من أن هناك عناصر كثيرة يشترك بها النص القرآني مع بعض الأنواع الأدبية الا انه يرتقي مطلقا بكونه نصّا يحمل سمات وخصائص متفردة تتعلق بأعجازه ودوره وتمثيله ، وهناك ظواهر كثيرة تجد لها مكانا في كل ما يمثل حياة الإنسان ومنها الأدب كونه لصيقا بالحياة ، إلا أننا نجد أن القرأن الكريم يتجاوز هذا بالتفرد بالتعبير عن كل مايخصّ الحياة الإنسانية ، ولسنا في طور مقارنة ولكن ظواهر التجريب الحديثة دفعت الى البحث عنها في النصوص التراثية والدينية ، ولايخفى وجود عناصر السرد والحكي التي تشكل نسبة كبيرة تقوم عليها المرويات في القرأن الكريم ، فكثير من الدراسات تناولت القصّ فيه بوصفه وسيلة من وسائل التعبير القرأني ولانه يطابق الرغبات العقلية للشخصية العربية ، فأسلوب القران الكريم جاء بطريقة تبين بأنه غير مقطوع عن الثقافة والتراث العربيين اللذين احتكمت اليهما العقلية العربية قبل الإسلام ، لذا فان العجائبية فيه قد وجدت لها أساسا في قبولها وتقبلها دون استنكار لأنها سمة من سمات الحياة الثقافية العربية قبل الإسلام أولا ، وثانيا وهو الأهم صدورها عن كتاب عقائدي معجز يشكل دستورا إلهيا لايمكن الشكّ فيه، ومقبول تبعا لدرجة الإيمان به ، لكن لابد من الإشارة إلى أن الفنيات التي احتكمت اليها العجائبية في النصّ القرأني هي فنيات خاصة ، واستثنائية تسند الدور العقائدي المطلوب.

الهوامش

١-السرد العربي القديم ، البنية السيسيوثقافية والخصوصيات الجمالية ، د عبد الوهاب شعلان، www.startimes.com

٢-ينظر ، عجائبية الرؤيا عند يوسف عليه السلام ، وداد مكاوي حمود ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية ،م٢،ص٣٩٦.

٣-ينظر هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل ، شعيب حليفي، دار الثقافة ، الدار البيضاء،ط١,٢٠٠٥،ص١٩٢.

٤-ينظر على سبيل المثال لا الحصر، سورة يوسف ، وسورة النمل.

٥-روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسبع المثاني ، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠)، ضبط وتصحيح ،علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص١٠٤.

٦-سورة البقرة، الآية ،٢٥٩.

٧-سورة الكهف ، الآية ١٩.

٨-ينظر أسماء الزمن في القرأن الكريم ، دراسة دلالية ، رسالة ماجستير، محمود يوسف عبد القادر عوض، جامعة النجاح، ٢٠٠٩،ص٢٢.

٩-المصدر نفسه، ص٢٣.

١٠-ينظر ، قراءة معاصرة في القص القرأني ، في ضوء سورة الكهف ، د عبد الباسط مراشدة ، والدكتور عبد الرحيم مراشدة، مجلة جامعة ال البيت، عمان ، ص٣-

١١-سورة الكهف ، الآية ١١.

١٢- ينظر جماليات المكان في القرأن الكريم ، محمود احمد عبد الجواد ، مجلة الوعي الإسلامي ، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت، العدد ٥٦، فبراير، مارس، ٢٠١١،ص٩٠.

١٣- ينظر ، جماليات المكان في القران الكريم ، دعوة لأولي الأبصار للتأمل والاعتبار،د عبد الرحمن الحطيبات، موقع رابطة أدباء الشام، www.odabasham.net .

١٤- سورة الواقعة، الآيتان، ٧٥-٧٦.

١٥- سورة البلد الآيتان ، ١- ٢.

١٦- سورة النمل، الآية، ٤٤.

١٧- سورة يونس ، الآية، ٩٠.

١٨- سورة الشعراء، الآية ،٦٣.

١٩- سورة الأعراف ، الآية، ١٤٣.

٢٠- سورة طه، الآية ، ٧٧.

٢١- سورة هود ،الآية، ٤٤.

٢٢- سورة آل عمران ، الآية ٤٦.

٢٣- سورة ال عمران ، الاية ٤٩.

٢٤ - سورة الاعراف ، الآيتان ، ١٠٧، ١٠٨.

٢٥- ينظر العجائبي بين الأسطوري والديني ، عبد السلام شرماط، موقع مؤمنون بلا حدود
www.mominoun.com

٢٦- سورة آل عمران ، الآية ٤٧.

٢٧- سورة النمل ، الآيتان ١٨-١٩.

٢٨- سورة يوسف، الآية، ٩٣.

٢٩- ينظر ، عجائبية الرؤيا عند يوسف عليه السلام ، ص٢٦٩، ص٢٧٠.

٣٠- سورة يوسف، الآية ٤.

قائمة المصادر والمراجع

١-القرأن الكريم.

٢-أسماء الزمان في القرأن الكريم، دراسة دلالية، رسالة ماجستير، محمود يوسف عبد القادر عوض، جامعة النجاح، ٢٠٠٩.

٣-جماليات المكان في القرأن الكريم، محمود احمد عبد الجواد، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ، العدد ٥٦، فبراير، مارس، ٢٠١١.

٤-روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسبع المثاني،ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠) ضبط وتصحيح، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٣، ٢٠٠٢.

٥-السرد العربي القديم البنية السيوسيوثقافية والخصوصيات الجمالية ، د عبد الوهاب شعلان، الجزائر، www.startimes.com

٦-عجائبية الرؤيا عند يوسف عليه السلام ، وداد مكاوي حمود، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية، م٢.

٧-العجائبي بين الأسطوري والديني، عبد السلام شرماط، موقع مؤمنون بلا حدود،

www.mominoun.com

٨-العجائبية في الرواية الجزائرية، الخامسة علاوي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠١٢

٩-فن كتابة الفنتازيا والخيال العلمي ،ليزا توتلي، ترجمة، كمال الدين حسين،الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠٠٨.

١٠- قراءة معاصرة في القصّ القرأني في ضوء سورة الكهف، دعبد الباسط مراشدة، ودعبد الرحيم مراشدة، مجلة جامعة ال البيت، عمان.

١١-المكان في القران الكريم ، دعوة لأولي الأبصار للتأمل والاعتبار، د عبد الرحمن الحطيبات، موقع رابطة أدباء الشام wwwodabasham.net

١٢-هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، دار الثقافة ، الدار البيضاء،
ط١، ٢٠٠٥.